مع الصحابة والتابعين

١٢

ميثم التمار

ترجمة: كمال السيد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

سبق لمؤسسة أنصاريان شرف تقديم سلسلة عن سيرة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً ، و لقد حظيت السلسلة باستقبال من فتيان الإسلام ممّا شجّع على تقديم سلسلة أخرى عن صحابة وقفوا مع النبي (صلى الله عليه و آله) و كانوا بحق رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

و هي إذ تقدّم هذه السلسلة إلى مكتبة الفتى المسلم إنما تأمل الإقتداء بأولئك الرجال الأفذاذ الذين أسهموا في صنع مجد الإسلام و رفع رايته عالياً ، و أضاءوا الطريق للأجيال .

مؤسسة أنصاريان : إيران ، قم ، شارع الشهداء

صندوق البريد : ايران / قم : ١٨٧ ، الهاتف : ٧٤١٧٤٤

في شهر رجب سنة ٦٠ للهجرة مات معاوية بن أبي سفيان بعد أن حكم بلاد الإسلام عشرين سنة ، و قد قتل في مدّة حكمه كثيراً من صحابة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) من بينهم حجر بن عدي الكندي و عمرو بن الحمق الخزاعي و رشيد الهجري ، كما اغتال بالسمّ الإمام الحسن سبط النبي (صلى الله عليه وآله) و مالك الأشتر و سعد بن أبي وقاص و غيرهم .

كان معاوية قد عهد بالحكم إلى ابنه يزيد ، دون رضا المسلمين و استشارتهم ، فتحولت الخلافة إلى مُلكٍ يرثه الأبناء عن الآباء .

شعر المسلمون بالغضب لذلك ، لأنه شاب فاسق يشرب الخمر و يقضي وقته في اللعب و اللهو مع قروده و كلابه .

تمنى المسلمون في الكوفة و غيرها من المدن أن يكون الإمام الحسين خليفة فهو سبط سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) و رجل معروف بالتقوى و الصلاح و الايمان و احسانه للفقراء و المساكين .

لهذا بعث المسلمون في الكوفة مئات الرسائل و أرسلوا إليه الوفود ليأتي اليهم و يخلصهم من الظلم .

كان الإمام الحسين (عليه السَّلام) في المدينة المنورة ، و كان هو الآخر يرى أن مبايعة يزيد أمر مخالف للإسلام ، لهذا امتنع عن البيعة و أرسل

ابن عمّه مسلم بن عقيل سفيراً إلى الكوفة .

أوصى الإمام الحسين (عليه السَّلام) ابن عمّه أن يترل ضيفاً عند أوثق أهل الكوفة .

الكوفة

كان الناس في مدينة الكوفة ينتظرون قدوم الإمام الحسين ، فقد ملّوا ظلم الأمويين و اشتاقوا إلى عدل الإمام علي (عليه السَّلام) .

سمع أهل الكوفة بقدوم مسلم بن عقيل و حلوله ضيفاً في مترل المختار الثقفي .

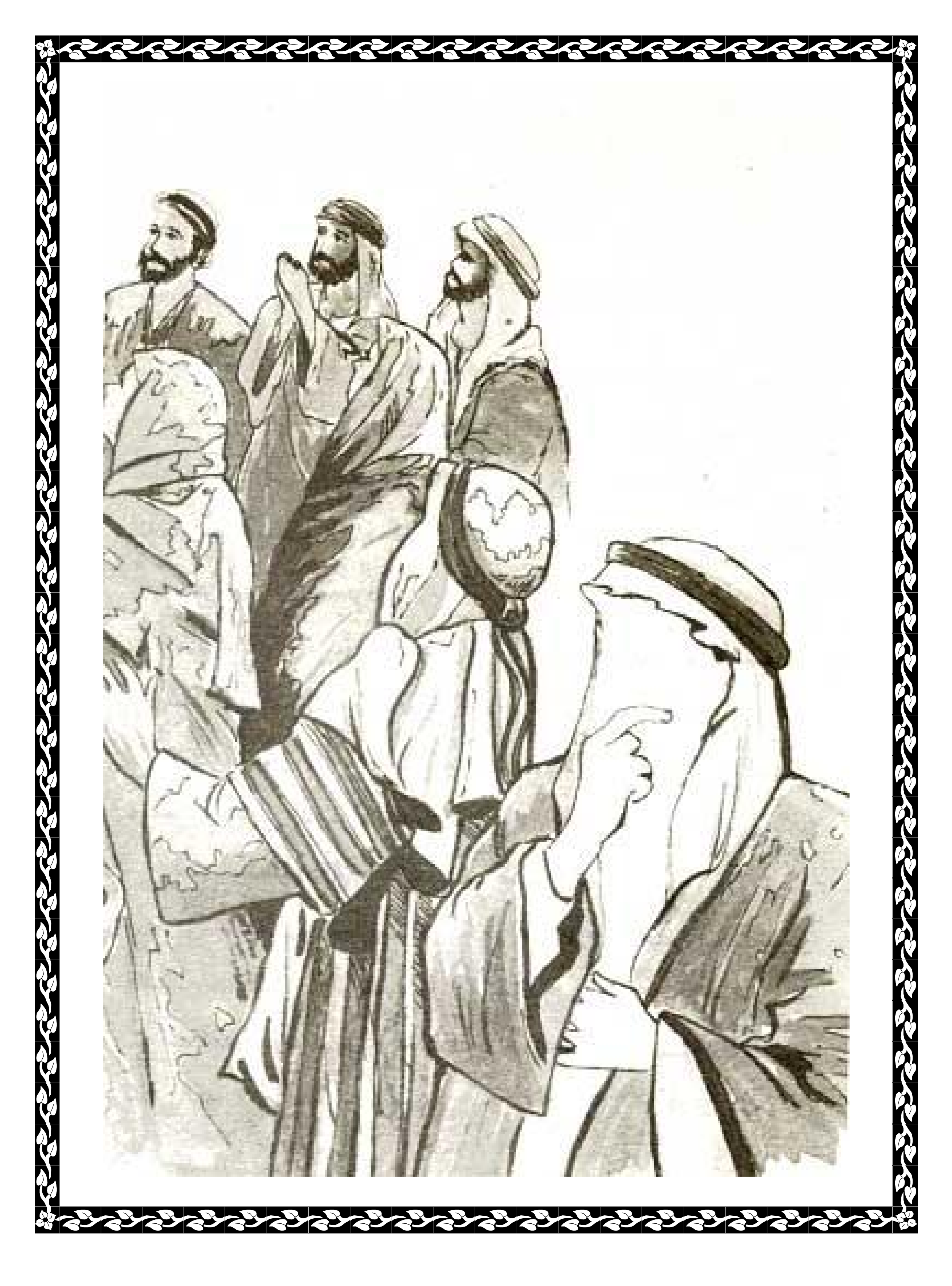
و هكذا ازدحم الناس حول مترل المختار لرؤية مسلم سفير الإمام الحسين (عليه السَّلام) و مبايعته على إقامة حكم الله .

قرأ مسلم رسالة الإمام الحسين إلى أهل الكوفة .

ــ بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين و المسلمين ....

أما بعد ...



فان هانئاً و سعيداً قدما عليّ بكتبكم و كانا آخر من قدما عليّ من رُسلكم و قد فهمت كلّ الذي قصصتم و ذكرتم ، و مقالة جُلكم أنّه ليس علينا امام غيرك ، فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى و الحق ، و قد بعثت اليكم أخي و ابن عمي و ثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل و أمرته أن يكتب إليّ بحالكم و أمركم ، فان كتب انّه قد أجمع ملئكم و ذووالفضل و الحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم و قرأت في كتبكم ، أقدم عليكم و شيكاً إن شاء الله .

فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب و الآخذ بالقسط والدائن بالحق و الحابس نفسه على ذات الله .

شعر المسلمون بالأمل و هم يستعمون إلى رسالة الإمام الحسين .

نهض المختار و بايع سفير الحسين على إقامة حكم الإسلام و الثورة ضد الظالمين و نصرة المقهورين .

كان المختار أول من بايع من المسلمين ، و بايع آلاف الناس حتى بلغ عددهم ثمانية عشر ألفاً .



المختار الثقفي

ولد المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي في مدينة الطائف في السنة الأولى من الهجرة النبوية .

كان والده من الذين اعتنقوا الإسلام و أخلصوا له ، قاد بعض معارك الفتح الإسلامي في بلاد فارس و استشهد في معركة " الجسر " عندما هجم عليه فيل مدرب فتولّى ابنه " جبر " القيادة بعده فاستشهد أيضاً .

أصبح مترل المختار مقرّاً لقيادة الثورة في الكوفة يقصده المسلمون كلّ يوم .

نقل الجواسيس الأخبار إلى يزيد بن معاوية في دمشق و أخبروه بتساهل الوالي " النعمان بن بشير الأنصاري " .

استشار يزيد " سرجون " و هو رجل مسيحي حاقد على المسلمين .

أشار " سرجون " بتعيين " عبيد الله بن زياد " والي البصرة حاكماً على الكوفة أيضاً .

وصل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة ، و أصدر أمراً بإلقاء القبض على مسلم .

اختفى مسلم في أحد بيوت الكوفة و أُلقي القبض على المختار و سيق إلى " الطامورة " و الطامورة سجن مخيف تحت الأرض .

ملأ عبيد الله السجون من الناس الأبرياء ، و بثّ الجواسيس في الكوفة بحثاً عن مسلم بن عقيل .

اضطر مسلم لإعلان الثورة ، فاجتمع حوله آلاف الناس .

حاصر مسلم بقوّاته قصر الامارة عدّة أيام .

كان عبيد الله بن زياد رجلاً خبيثاً فراح يبث الشائعات ، و يقول سوف يصل جيش الشام الجرّار و سوف يدمّر الكوفة و يقتل الناس .

صدّق الناس تلك الشائعات فتركوا سفير الحسين وحيداً ، و اضطر مسلم للإختفاء مرّة اُخرى .

منزل طوعة

اكتشف الجواسيس مخبأ مسلم و كان منزلاً لامرأة عجوز طيّبة تدعى طوعة .

ارسل عبيد الله بن زياد الشرطة لإلقاء القبض عليه ، و عندما طلبوا منه الاستسلام رفض و راح يقاتلهم لوحده .

و بعد أن أُصيب بجروح بليغة و عرضوا عليه الأمان ، توقف عن المقاومة ، فأُلقي القبض عليه و سيق إلى قصر الأمارة .

كان عبيد الله بن زياد يحقد على أهل البيت و اتباعهم ، لهذا أمر باعدامه مع أحد أنصاره و اسمه هانئ بن عروة و كان من سادات الكوفة و أشرافها ، كما أمر بإلقاء جسديهما من فوق القصر .

ساد الخوف مدينة الكوفة ، بعد أن أصبح الحاكم يقتل الناس و يسجنهم لأقلّ تهمة .

معركة كربلاء

غادر الإمام الحسين المدينة المنورة إلى مكة في موسم الحج ، و عندما علم أن يزيد أرسل جواسيسه لاغتياله ، فضّل مغادرة مكة و قال :

ـــ لا أُريد أن تستحلّ حرمة الكعبة بقتلي .

قصد الحسين الكوفة . و في الطريق سمع بقتل مسلم و هانئ و قيس بن مسهر الصيدواي و غيرهم .

و في صحراء كربلاء فوجئت قافلة الحسين (عليه السَّلام) بألف فارس يقطعون عليه الطريق .

ثم تعاقبت الكتائب العسكرية إلى أن أصبحت أربعة آلاف .

كان الحسين في سبعين رجلاً من أهل بيته و أنصاره .

و عندما طلبوا من الإمام الاستسلام و مبايعة يزيد أو الحرب قال قولته المشهورة :

ــ هيهات منّا الذلّة ...

اختار الإمام طريق الاستشهاد .

و في صباح اليوم العاشر من المحرّم حدثت معركة كربلاء حيث شن آلاف الجنود من المشاة و الفرسان هجوماً وحشياً فتصدّى الإمام الحسين (عليه السّلام) و أصحابه للهجوم ببسالة و دارت معارك ضارية أدهشت العدوّ ، فقد إستطاع سبعون مقاتلاً فقط الاستمرار في المقاومة و القتال من ساعات الفجر الأولى إلى العصر .

و عندما لم يبق مع الحسين أحد ، خرج يقاتل تلك الألوف المدججة بالسلاح وحيداً . فجسد بقتاله و بسالته أعظم الملاحم في تاريخ البشرية .

أغار الجيش بعد قتل الحسين و قام بإحراق الخيام ، ثم ساق النساء و الأطفال أسرى ، و قطع رؤوس الشهداء و رفعوها فوق الرماح .

رأس الحسين (عليه السّلام)

قدّم الشمر و هو الذي ذبح الحسين (عليه السَّلام) رأس سبط سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) إلى عبيد الله بن زياد .

رأى الناس رأس الحسين فتألموا و ندموا على تقاعسهم عن نصرة ابن رسول الله .

أمر عبيد الله بن زياد باحضار المختار من السجن .

و عندما أحضر الحرّاس المختار و رأى رأس الحسين صاح بألم :

ـــ آه .

و من ذلك الوقت فكّر المختار بالثورة و الاقتصاص من قتله أولاد الأنبياء الذين يقتلون النفس التي حرّم الله قتلها ، و يغتصبون حقّ الناس .

ميثم التمار

كان ميثم التمّار رجلاً صالحاً من أصحاب الإمام علي (عليه السَّلام) و قد تعلّم الكثير من علم الإمام .

عندما أُلقي المختار في السجن كان ميثم مسجوناً معه .

ذات يوم قال المختار لميثم :

ـــ ان هذا الظالم ابن زياد سيقتلنا بعد ما قتل ابن رسول الله .

قال ميثم :

ـــ أخبرني حبيبي علي اني سأُقتل و أُصلب على جذع نخلة ، أما أنت فستخرج من السجن و ستقتل هذا الطاغية برجلك على وجهه .

صفية

كانت صفية أُخت المختار زوجة لعبد الله بن عمر بن الخطاب ، و كان عبد الله على علاقة طيبة مع يزيد بن معاوية فتوسط للمختار .

كان عبيد الله مصمماً على قتل المختار و لكن مبعوثاً من قبل يزيد جاء على وجه السرعة و معه أمر بإطلاق سراح المختار من السجن .

قرأ عبيد الله بن زياد الرسالة و امتثل لأمر يزيد فاستدعى المختار من السجن و قال له بقسوة :

ـــ أمهلك ثلاثة فقط فان وجدتك في الكوفة بعدها قتلتك .

غادر المختار الكوفة متوجهاً إلى مكة .

عبد الله بن الزبير

كان عبد الله بن الزبير قد أعلن نفسه خليفة و بايعة الناس ، بعضهم كان يحبّه ، و بعضهم كان يكره الأمويين .

كان المختار يعرف عبد الله بن الزبير و أطماعه و لكنه بايع ابن الزبير لأنّه عدوّ لبني أمية الظالمين .

في تلك الفترة ثار أهل المدينة المنورة و فيهم أغلب صحابة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) على يزيد ، بعد أن قتل الامام الحسين و سبى عياله .

و لكن جيش الشام بقيادة مسلم بن عقبة الذي سمّاه الناس آنذاك مجرم بن عقبة اقتحم المدينة المنورة و حرم النبي و ارتكب المذابح و اعتدى على أعراض الناس ، و قد بلغ عدد القتلى أكثر من خمسة عشر ألف من الأبرياء فيهم سبعمئة من الصحابة و التابعين . كما عرض النساء للبيع في الأسواق .

و بعد هذه المذبحة تحرّك جيش يزيد نحو مكة لإخضاعها .

الدفاع عن بيت الله

في الطريق إلى مكة لدغت عقرب قائد الجيش مجرم بن عقبة فمات ،

فتولّى قيادة الجيش الحصين بن نمير ، و هو أحد الذين اشتركوا في مذبحة كربلاء .

حاصر جيش الشام مكة المكرمة ، و أخذ الجنود مواقعهم فوق التلال و رؤوس الجبال .

نصبوا " المجانيق " و هي آلات تشبه المدافع يقذفون بها كتل النار .

أصدر الحصين أوامره بقصف المدينة :

ــ اقصفوهم بالمجانيق .

قال أحد الجنود :

ــ انّهم يحتمون بالكعبة أيّها القائد .

صاح القائد بحقد :

ــ اقصفوا الكعبة اذن ... نحن ننفّذ أمر الخليفة يزيد .

قصف الجنود الكعبة بالمجانيق و تساقطت الحجارة المشتعلة بالنار فوق المنازل و المساجد و شبّت النيران في جدران الكعبة .

بعد قصف شديد أمر الحصين الفرسان باقتحام مكة و قتل كل من يصادفهم .

هجم الفرسان تتبعهم قوات المشاة المدججين بالسلاح .

و دارت معارك ضارية في الحرم ، كان المختار يقاتل ببسالة دفاعاً

عن بيت الله الحرام ، و استطاع دفع الغزاة إلى الوراء و اجبارهم على التراجع .

و بينما كان الحصار مستمراً ، و المعارك ضارية وصل نبأ هام .

جاء فارس من دمشق و اجتمع بالحصين بن نمير قائلاً :

ــ لديّ خبر مهم .

ــ تكلّم .

ــ لقد تُوفي الخليفة يزيد بن معاوية .

ــ ماذا ؟

فوجئ الحصين بالخبر فطلب منه التزام الصمت ، و لكن سرعان ما انتشر الخبر بين جنود الشام الذين ملّوا الحصار و استنكروا قصف الكعبة بيت الله ثم التوجه اليها عند الصلاة !

العودة إلى الكوفة

انتهى الحصار بعد انسحاب الحصين بن نمير و توجهه إلى دمشق .

قرّر المختار العودة إلى الكوفة بعد فراق دام اكثر من أربع سنوات .

كان عبيد الله بن زياد قد فرّ إلى دمشق بعد وفاة يزيد بن معاوية .

انتهز أهل الكوفة الفرصة و أعلنوا تأييدهم لعبد الله بن الزبير .

عيّن ابن الزبير عبد الله بن مطيع والياً على الكوفة ، و التف حوله بعض الزعماء الذين اشتركوا في مذبحة كربلاء .

و ذات يوم قال أحدهم :

ـــ أيها الأمير ان المختار أشدّ خطراً من سليمان بن صرد . ان سليمان قد خرج من الكوفة لقتال أهل الشام ، أما المختار يريد الثورة في الكوفة للإنتقام من قتله الحسين .

و قال آخر :

ـــ أرى أن تسجنه أيُها الأمير ، من الأفضل أن نتغدى به قتل أن يتعشى بنا .

استجاب الأمير لهم و أصدر أمراً بإلقاء القبض على المختار و إبداعه السجن .

سليمان بن صرد

كان سليمان بن صرد صحابياً جليل القدر ، و هو من الذين تألموا لقتل الحسين (عليه السَّلام) و عدم نصرته . لهذا دعا أهل الكوفة لإعلان

توبتهم و ندمهم على تقاعسهم عن نصرة الحسين في كربلاء .

استجاب له أربعة آلاف مسلم فألّف جيشه منهم و أعلن ثورته على بني اُمية الذين قتلوا الحسين (عليه السَّلام) و سبوا عياله .

و رغم قلّة الجنود فقد كانوا متحمسين للقتال فزحفوا باتجاه الشام ، بعد أن زاروا قبر الحسين و بكوا كثيراً حوله .

و في منطقة عين الوردة على حدود الشام مع العراق اصطدموا بجيش عبيد الله بن زياد الذي يتالّف من ثمانين ألف جندي ، و دارت معارك ضارية استشهد فيها سليمان بن صرد ، و الذين تعاقبوا بعده في القيادة . و بعد أن تسلّم رفاعة بن شداد القيادة ، قرّر الانسحاب إلى الكوفة .

الرسالة

بعث المختار من سجنه رسالة إلى رفاعة و أصحابه جاء فيها :

أما بعد ...

فان الله قد أعظم لكم الأجر و حط عنكم الوزر بمقارعة الظالمين ، انّكم لم تنفقوا نفقة و لم تقطعوا عقبة ، و لم تخطوا خطوة إلاّ رفع الله

لكم بها درجة و كتب لكم بها حسنة .

و أرسل رفاعة رسالة جوابية قال فيها انّه مستعد و أصحابه لاقتحام السجن و إطلاق سراحه ، غير أن المختار أشار عليهم بعدم الإقدام على ذلك .

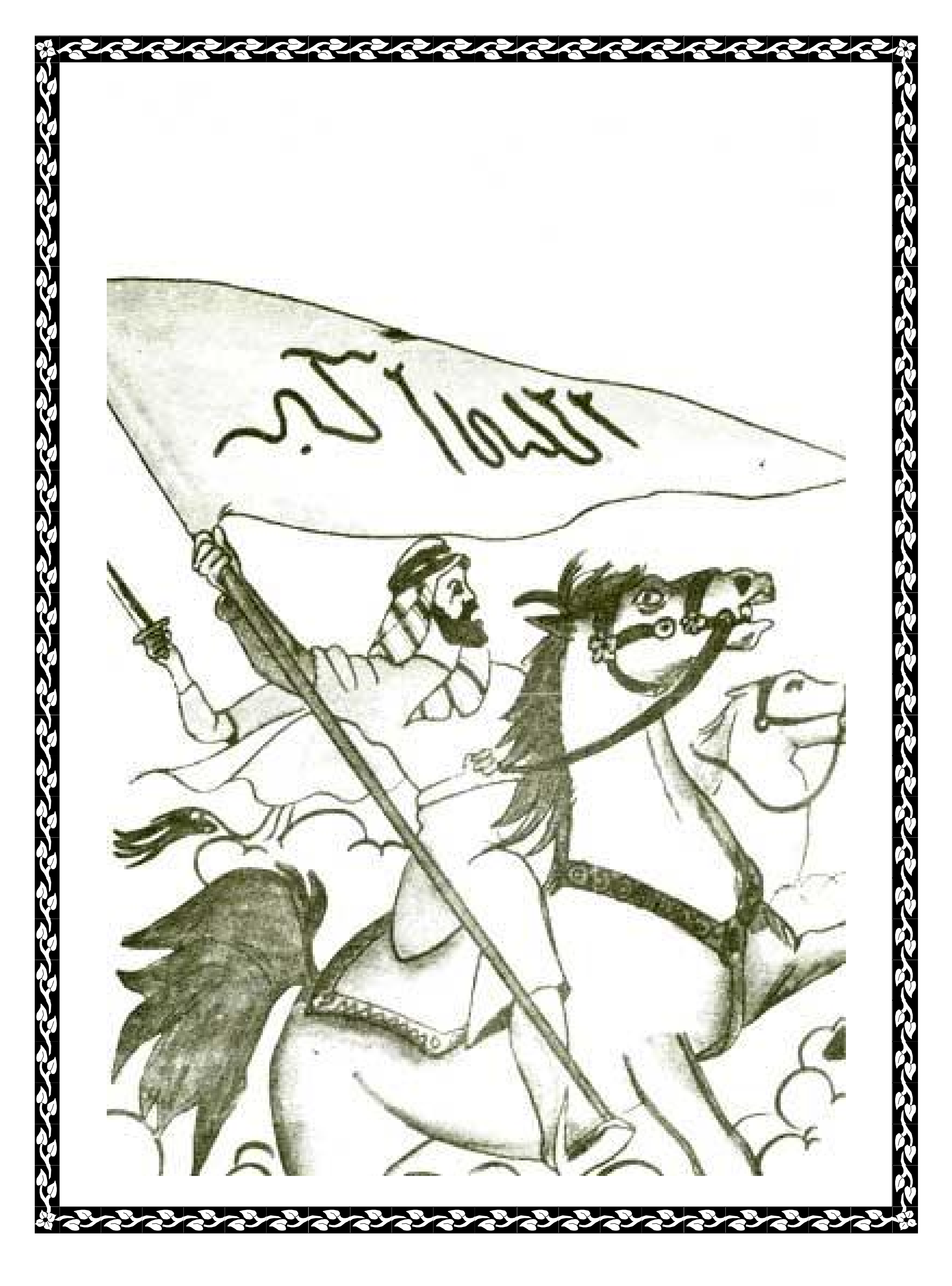
الثورة

توسط عبد الله بن عمر بن الخطاب للمختار مرّة أخرى ، فأطلق سراحه ، و فور خروجه من السجن بدأ يعبّئ الناس للثورة و الاقتصاص من الذين ارتكبوا مذبحة عاشوراء .

و في تلك المدّة تلقى المختار رسالة تأييد من محمد بن الحنفية و هو ابن الإمام علي (عليه السَّلام) ، فساعد ذلك على التفاف الناس حوله ، كما انضم اليه إبراهيم بن مالك الأشتر ، و هو قائد عسكري كبير و شجاع .

اتفق الثائرون على أن تكون ليلة الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأول عام ٦٦ هجرية موعد ساعة الصفر لأعلان الثورة .

و كان الجواسيس ينقلون التقارير و يحذّرون من تحرّك قد يقوم به المختار ، و دوريات الشرطة تجوب أرقّة الكوفة تحسباً للطوارئ .



اشتعال الثورة

و في ليلة الثلاثاء الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، أي قبل موعد الثورة بيومين ، و بينما كان إبراهيم الأشتر و معه بعض أصحابه في طريقه إلى مترل المختار ، صادفته إحدى الدوريات .

صاح قائد الشرطة : مَن أنتم ؟

أجاب الأشتر :

ــ أنا إبراهيم بن مالك الأشتر .

قال قائد الشرطة :

ــ مَن هؤلاء الذين معك ... و هل لديك ترخيص بالخروج ليلاً ؟

قال إبراهيم :

ــ كلاً .

قال قائد الشرطة :

ــ اذن يجب اعتقالكم .

اضطر إبراهيم لمهاجمته قبل أن يعتقله فقتله و لاذ أفراد الدورية بالفرار .

أسرع إبراهيم و أصحابه إلى المختار و أخبروه .

قال إبراهيم :

ــ يجب إعلان الثورة فوراً .

سأل المختار :

ــ ماذا حدث ؟

ــ لقد قتل قائد الشرطة و لا مفرّ من الإسراع في اعلان الثورة .

استبشر المختار و قال :

ــ بشّرك الله بالخير هذا أول الفتح .

يا لثارات الحسين

أصدر المختار أوامره بايقاد النيران و هي العلامة المتفق عليها ، كما أمر بإطلاق شعارات الثورة يا منصور أمت و هو شعار سيدنا محمد في معركة بدر .

و في قلب الظلام استيقظ سكّان الكوفة على شعارات يا لثارات الحسين ، وهب الثائرون إلى مترل المختار الذي أصبح مركزاً لقيادة الثورة و دارت معارك ضارية في شوارع الكوفة و أزقتها و استسلم جنود الوالي و شرطته ، كما فرّ الوالي نفسه إلى الحجاز .

في مسجد الكوفة

و في مسجد الكوفة ارتقى المختار الثقفي المنبر و أعلن أهداف الثورة .

ـــ تبايعوني على العمل بكتاب الله و سنّة نبيّه .

و الطلب بدماء أهل البيت (عليهم السلام) .

و جهاد المُحلِّين (الذين أحلّوا ما حرّم الله) .

و الدفاع عن الضعفاء .

و عمّت الفرحة بين الناس ، بعد أن رأوا في سياسة المختار بعض ما رأوه من عدل علي (عليه السَّلام) و مساواته بين الناس .

ألغى المختار سياسة التمييز العنصري التي اتبعها بنو أمية في تفضيل العرب على غيرهم ، و أقرّ العدالة .

النص

كان الجيش الأموي يواصل زحفه نحو الكوفة بعد معركة عين الوردة ، فاحتل مدينة الموصل ، و استعد للزحف بعدها إلى الكوفة .

جهّز المختار جيشاً من ثلاثة آلاف بقيادة يزيد بن أنس و كان شيخاً صالحاً معروفاً بالشجاعة .

و خاض جيش المختار فور وصوله ضواحي الموصل معركتين مع طلائع الجيش الأموي و انتصر في كليهما .

و أعقب ذلك أن توفي يزيد بن أنس ، فأحدث ذلك تأثيراً سيئاً على معنويات الجنود الذين تهيبوا ضخامة الجيش الأموي ففضّلوا الإنسحاب إلى الكوفة .

الشائعات

أشاع الحاقدون على المختار و في طليعتهم قتله الإمام الحسين (عليه السّلام) ان جيش المختار قد هُزم و ان يزيد ين أنس قد قتل في المعارك فأمر المختار قائدة الشجاع إبراهيم بن مالك الأشتر بالتحرك نحو الموصل على رأس جيش قوامه سبعة آلاف مقاتل .

عندما غادر الجيش الكوفة انتهز أعداء المختار الفرصة و اجتمعوا في مترل شبث بن ربعي قائد المشاة في مذبحة كربلاء و دبّروا مؤامرة للإطاحة بحكومة المختار .

كان هناك الكثير من الحاقدين بسبب سياسة المختار التي قضت على مصالحهم و امتيازاتهم .

و هكذا خرج المتمرّدون إلى الشوارع في زمر مسلّحة و حاصروا قصر الامارة .

و رغم شدّة الحصار إلاّ ان المختار تمكّن من إرسال فارس على وجه السرعة إلى إبراهيم يطلعه على ما حدث و يأمره بالعودة .

و بعد ثلاثة أيام من الحصار ، فوجئ المتمردون بعودة الجيش الذي قام بانهاء التمرّد بسرعة ، و أُلقي القبض على المتآمرين فيما فرّ بعضهم .

أُلقي القبض على حرملة بن كاهل الذي ذبح طفل الحسين و تمّ اعدامه كما أُلقي القبض على سنان بن أنس من الذين اشتركوا في قتل الحسين ، و تم اعدام عمر بن سعد قائد الجيش في مذبحة كربلاء و غيرهم .

كما فرّ شبث بن ربعي إلى البصرة ، أما الشمر بن ذي الجوشن فقد فرّ ايضاً و لكنه طورد حيث عُثر عليه في قرية من قرى واسط و تم إنزال القصاص بحقّه ، و كان الشمر قد تولّى ذبح الامام الحسين (عليه السَّلام) و قام بحمل رأسه إلى الكوفة ثم إلى دمشق و قال عندما دخل على يزيد :

ـــ املأ ركابي فضة و ذهبا

اني قتلت السيّد المهذّبا

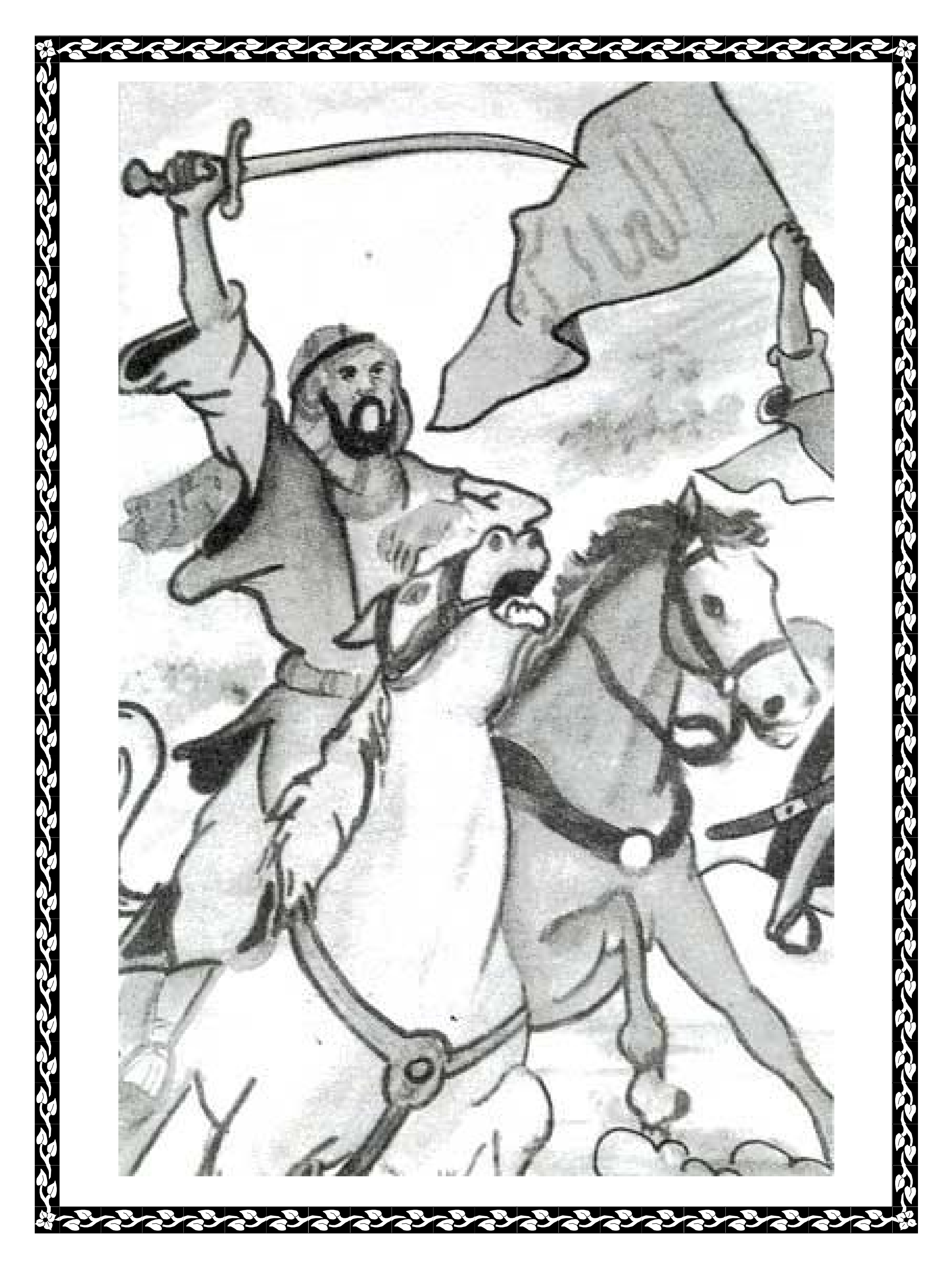
قتلت خير الناس أمّاً و أبا

الصوم شكراً لله

كان المختار من الرجال الصالحين و كان إذا أراد أن يشكر الله على نعمة صام .

لهذا صام المختار شكراً لله على ما أنعم عليه من النصر على أعداء أهل البيت محمد (صلى الله عليه وآله) ، الذين قتلوا سبط النبي و سبوا عياله .

و كان المختار يؤمن بأن نِعم الله لا تعدّ و لا تحصى ، و قد قال الله سبحانه " و ان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها " لهذا كان يصوم أغلب أيام السنة .



معركة الخازر

وصل جيش إبراهيم نهر الخازر واصطدم بجيش عبيد الله بن زياد ، و دارت معارك عنيفة ، استبسل فيها جيش الكوفة في القتال و قامت فرقة إنتحارية بهجوم جريء استهدف مقرّ قيادة الجيش الأموي ، فتمكنت من قتل عبيد الله بن زياد و الحصين بن نمير و غيرهما من القادة الكبار ، وقد أدّى ذلك إلى هزيمة ساحقة و انتشرت أخبار انتصار المختار في المدن الإسلامية ، و فرح المسلمون بمقتل الطاغية عبيد الله بن زياد .

و كانت معركة الخازر مصداقاً لقوله تعالى : " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله " .

لقد انتصر جيش إبراهيم بن مالك الأشتر الصغير على جيش كبير يفوقه عشرة أضعاف .

محمد رسول اللّٰه

والذين معه

اشداء على الكفار

رحماء بينهم

عبد الملك بن مروان

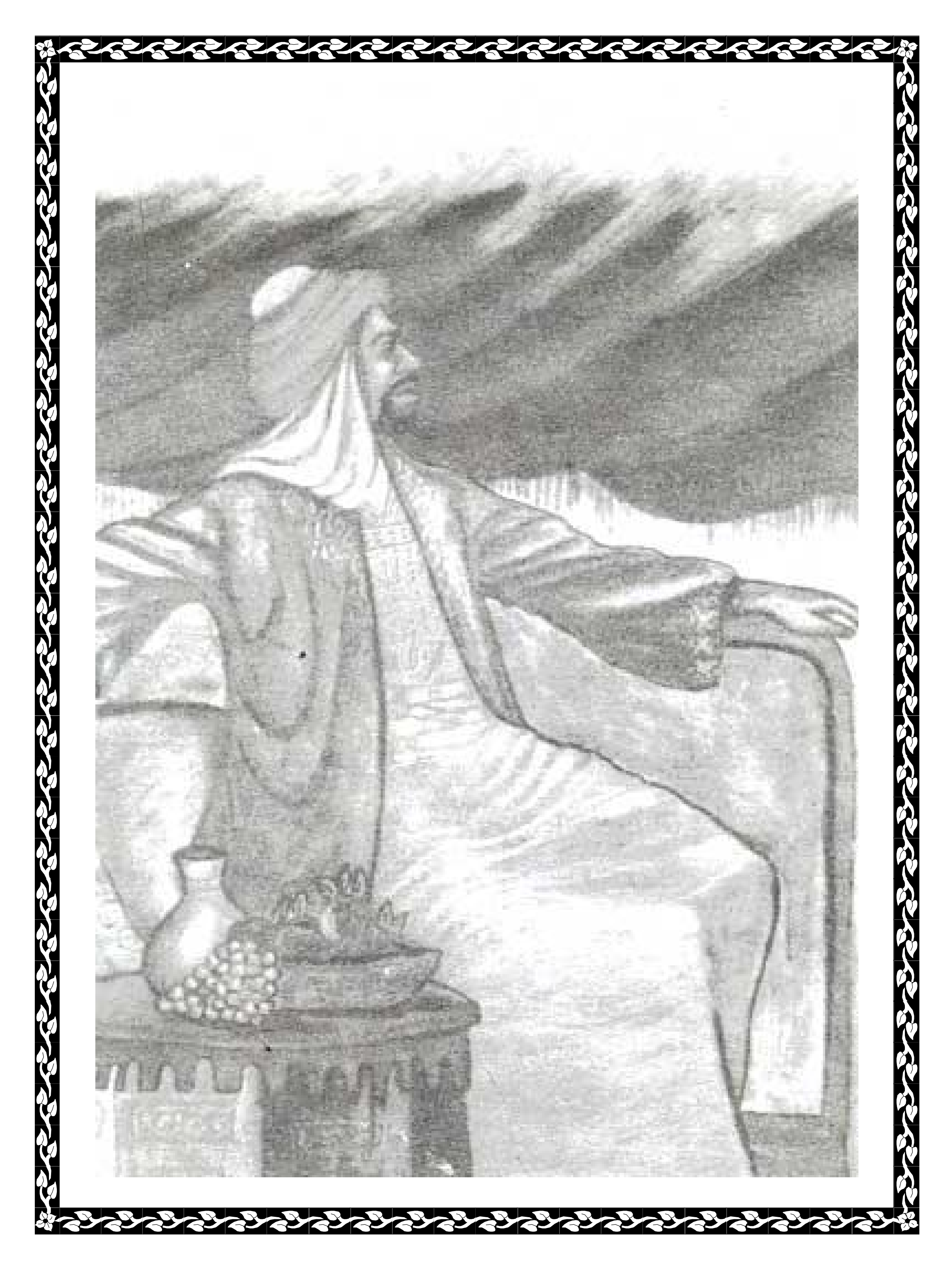
كانت سياسة المختار مهادنة ابن الزبير و توحيد الجهود ضد أعداء الإسلام من بني أمية .

غير أن ابن الزبير لم يكن يفكّر إلاّ بالحكم و السلطة ، لهذا كان يشعر بالقلق من تنامي نفوذ المختار ، و تصاعد شعبيته خاصّة بعد قضائه على مرتكبي مذبحة عاشوراء .

عندما مات يزيد بن معاوية جاء إلى الخلافة ابنه معاوية ، و لكن معاوية كان شاباً مؤمناً بالله و رسوله ، فاعترف بظلم جدّه و اغتصابه للحقّ و اعترف بفسق أبيه و ما فعله بالإمام الحسين و اسرته ، لهذا أعلن تنازله عن الخلافة .

و كان مروان بن الحكم يطمع بالخلافة فانتهز الفرصة و سيطر على الحكم و بقي مدّة ستة أشهر حتى مات فتولّى ابنه عبد الملك شوؤن الحكم .

أرسل عبد الملك جيشاً كبيراً لاحتلال المدينة المنورة ، عندما سمع المختار بذلك عبأ جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل لإنقاذ مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) .



كان ابن الزبير قد أرسل جيشاً من ألفي مقاتل من أجلّ حماية المدينة أيضاً ، كان هذا في الظاهر و لكن المهمة كانت الغدر بجيش المختار .

انتهز جيش ابن الزبير انشغال جنود المختار فغدروا بهم فقتلوا العشرات منهم ، و فرّ الباقون ليموتوا في الصحراء جوعاً و عطشاً .

كان ابن الزبير يحقد على العلويين لهذا جمعهم في جبل رضوى خارج مكة و فرض عليهم الإقامة الجبرية هناك ، و هدم دورهم .

أرسل المختار خمسة آلاف جندي لفك الحصار عنهم ، فحرّرهم و أعاد بناء دورهم التي هدّمها اين الزبير .

مصعب ابن الزبير

فكّر عبد الله بن الزبير في تعيين حاكم جديد على البصرة يمتاز بالقسوة ، لم يجد ابن الزبير سوى أخاه مصعب ، فأرسله إلى البصرة .

دخل مصعب البصرة و ألقى خطاباً هاجم فيه المختار بكلّ أنواع الشتائم و قال :

ـــ لقد بلغني أنّكم تلقبون امراءكم و قبل أن تلقبوني فقد لقبت نفسي بالجزار .

كان الفارّون من عدالة المختار و الذين تلطخت أيديهم بدماء الأبرياء يلتفون حول مصعب و يحرّضونه على قتال المختار .

النهاية

عبأ مصعب جيشاً كبيراً و تقدّم به نحو الكوفة .

فوجئ المختار بهذا الزحف ، و كان إبراهيم بن مالك الأشتر ما يزال في مدينة الموصل .

اضطر المختار إلى مواجهة ابن الزبير بقواته المحدودة ، و اشتبك الفريقان في حروراء جنوبي الكوفة ، استطاع المختار إحراز بعض الانتصارات في الجولات الأولى .

ثم دارت الدائرة على جيش المختار ، فاضطر إلى التراجع إلى الكوفة و التحصّن داخل القصر .

استمر حصار القصر أربعة شهور متوالية ، كان المختار خلالها يحاول كسر الحصار عن طريق حرب الشوارع و لكن أهل الكوفة

خذلوه أيضاً فظل وحيداً مع قوّاته .

و في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٦٧ هجري قرّر المختار مغادرة القصر و قال لأصحابه :

ــ ان الحصار لا يزيدنا إلاّ ضعفاً ، فلنخرج اليهم حتى نموت كراماً و لم يستجب للمختار سوى سبعة عشر رجلاً فقط فخرج يقاتل بهم الألوف المحدقة بالقصر .

كان المختار يقاتل و هو راكب على بغلة شهباء ، و رغم بلوغه السابعة و الستين فقد أبدى مقاومة عنيفة و شجاعة نادرة إلى أن هوى على الأرض شهيداً .

أغرى مصعب الذين ظلّوا في القصر و خدعهم بالأمان و أعطاهم الميثاق أن لا ينالهم بسوء .

و لكن عندما فتحوا أبواب القصر ، أصدر أمراً بإعدام الجميع و نفّذ حكم الإعدام بسبعة آلاف انسان في يوم واحد ، و كانت مذبحة مروّعة لم تشهد لها الكوفة نظيراً في التاريخ .

المرأة المؤمنة

أصدر مصعب أمراً القبض على زوجة المختار و كانت إمرأة مؤمنة صالحة ذات أدب و حسب و نسب تدعى " عمرة " و هي ابنة النعمان بن بشير الأنصاري .

طلب مصعب أن تتبرأ من زوجها فقالت مستنكرة :

ـــ كيف تريدني أن أتبرأ من رجل يقول ربي الله .

كان صائماً نهاره

قائماً ليله

و قد بذل دمه لله و رسوله .

و أخذ بثأر سبط النبي الحسين بن علي .

فقال مصعب مهدداً :

ـــ إذن فسألحقك بزوجك .

و أجابت المرأة المؤمنة :

شهادة أرزقها في سبيل الله خير من الدنيا و ما فيها ، انّها موتة و من ورائها الجنّة . و الله أُفضّل على ولايتي لعليّ بن أبي طالب شيئاً .

قرّر مصعب قتلها ، فاقتيدت ليلاً إلى مكان بين الحيرة و الكوفة ،

و في وسط الصحراء و الظلام تقدّم الجلاّد و هوى بسيفه الغادر على عنق تلك المرأة المؤمنة الصابرة .

و استشهدت رحمها الله دفاعاً عن الأهداف التي استشهد من أجلها الحسين (عليه السَّلام) و سار على دربها المختار ، و كانت أول امرأة يضرب عنقها صبراً في تاريخ الإسلام .

و بمصرع المختار و زوجته انطوت صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد المضيء . ما تزال تنير الطريق للأجيال .

و في ذلك العام ظلّ الناس يرددون بحزن شعراً قاله عمر بن ربيعة في رثاء زوجة المختار .

ان من أعجب العجائب عندي   قتل بيضاء حرّة عطبول
قُتلت هكذا على غير جرم   ان لله درّها من قتـــيل
كتب القتل و القتال علينا   و على الغانيات جرّ الذيول